فرنسا

من بيتر ليمنون

استضافت كلية الطب في باريس قبل اسابيع اكثر من ٧٠٠ طبيب وطبيب نفساني من ٣٤ دولة اجتمعوا في المؤتمر الدولي الاول للسايكودراما (المسرح الذي يعالج الاضطرابات النفسية) . وكانت سلسلة من المسرحيات النفسية تجري في القاعة الكبرى في كل يوم ، يجريها الاختصاصيون على اناس متبرعين ؛ بل ان المؤتمر نفسه قام بالدور ، لما فجر اعضاؤه العقد الموجودة فيهم وتراشقوا بالاوراق الملطخة بالحبر .

وقد سبق للسينما الفرنسية ان عرفتنا على السايكودراما وخاصة في افلام جين روش . انه مسرح علاجي اكثر اطباء النفس الامريكيون من استعماله في السنوات العشر الاخيرة لتهدئة الاضطرابات الفردية او الجماعية بالسماح لها بالانطلاق تحت ارشادهم .

تدعي السايكودراما انها ابانت مؤخرا العلاقة بين الفن والعلاج النفسي . ويعتقد مؤسسها في العشرينات ، البروفسور مورينو من جامعة نيويورك (وكان الرئيس الفخري ، السمين والمهذب ، لمؤتمر باريس) ان هذه هي الطريق التي سيسلكها المسرح الحديث .

يجد المتحدث اليه ، ولو جرت المقابلة في قاعة فندق هادىء ، ان من الصعب تتبع البروفسور مورينو . يتدفق منه سيل من الاختبارات المتباينة ومقاطع من افكاره ولمحات من ذكريات مدهشة ، احيانا بلا مبالاة مهيبة ، مرفقا بعض النقاط بضربة رفيقة على ركبتك . انه ، بالطبع ، من فيينا . وله ما للكثيرين من مواطنيه من معد مكرشة ونشاط واتقاد .

اكتشف مورينو الممثل بيتر لوري في شوارع فيينا واطلعه على مسرحه السايكودرامي المولود حديثا قبل ان انتج لوري فيلم « م » وعمل مع روزفلت في مطلع الثلاثينات . وتنبأ في كتاب دعاه «الذي سيبقى» بالثورة الحاضرة لزنوج امريكا (وهو يدعي الآن ان حكومة جونسون تعتمد بعض الاعتماد على وسائله في كبت الانفجار). وقد تبع كل من المخرج ايليا كازان والكاتب المسرحي آرثر ميلر نشاطه السايكودرامي في المدرستين اللتين اسسهما في الولايات المتحدة وفي كل منهما مائة الف طالب في السنة . وكان صديقا لماريلين مونرو .

يبدو ان لمورينو ثلاثة اهتمامات رئيسية : القضية الزنجية ، مسرحية آرثر ميلر عن حياته مع ماريلين مونرو « بعد السقوط» ، ومستقبل السايكودراما في المسرح .

« ليست السايكودراما مجرد علاج طبي . بل نحن نستعملها لتدريب الناس على معالجة امورهم ، كاولئك المتبرعين بانفسهم الذاهبين الى الجنوب للمساعدة في تعليم الزنوج كيف ينتخبون . عملت معهم في دلتا المسيسبي ، اعدّهم ليطبقوا اختباراتهم السايكودرامية على عدد من المشاكل الملموسة الممكنة التي يحتمل ان يواجهوها . في ١٩٣٤ كتبت عن نقطة التحول التي سنصل اليها لما يعجز الزنوج ان يعيشوا بعد مع البيض بدون عنف واضطراب . يوجد في امريكا اليوم ردة عند البيض (الذين كانوا متحررين يوما) الذين يعتقدون ان الزنوج قد تطرفوا اكثر من اللازم . قد يسمح لك القانون ان تفعل شيئا ما ، ولكن حيث العادة قوية يكون القانون لا يكفي . في ظروف كهذه لا تستطيع ان تفعل ما هو حق . ما تستطيع ان تفعله فحسب هو ما بوسعك ان تفعله. ما

نحاول نحن فعله هو اعداد السبل والوسائل واعداد الناس للمجابهة بحيث يتمكنون من تخفيف وطأة العنف والتحكم به » .

– هل هو انفجار السكان الذي اوصلنا الى هذا الحال ؟

« اني اسميه الانفجار الجنسي . لاحظت في السنوات الاخيرة ان الزنجي الذكر يلعب دورا متزايدا في الحياة الجنسية للمرأة الامريكية البيضاء. اضطر الزنجي ، وقد حرم من التعلم ، ان يتجه نحو الاعمال اليدوية . وقد جعله ذلك اقوى جسديا من عدة نواح . ولكن في الماضي كان جو لويس ، وهو رجل انيس طيب القلب ، يرمز الى القوة الزنجية – ولكن ليس الى قوة الزنجي الجنسية . اما الآن فهي مسألة جنس . وقد ازداد اعجاب المرأة البيضاء بالزنوج بعد بدء ثورتهم » .

– لقد كتبت ضد (بعد السقوط) مهاجما اياها ؟

« بالنسبة لي ان هذه المسرحية مسرحية نفسية مثالية . انهاقرب ما يكون من المسرحية النفسية : يحاول الزوج بعد الانتحار ان يبرر نفسه . اننا نفعل ذلك في ستوديوهاتنا كل يوم . كان على ميلر ان يتجرأ ويعترف بذلك . وكان يفعل افضل من ذلك لو انه فعل ذلك قبل الطلاق . لو فعل ذلك لكان الطلاق قد حصل فعلا ، ولكننا نؤمن بان الطلاق قد ينقي النفس ويريحها . طلاق جيد خير من زواج سيء . ولم يكن ذلك منصفا لماريلين . لم يتح لها ان تدافع عن نفسها . ولكن حتى بدونها كان بالامكان العثور له على بديل لها ، بديل يستطيع ميلر ان يسوي اموره معها – مثلما يفعل الملاكم مع قرين يختار لمشابهته للرجل الذي سينازله الملاكم . كانت ماريلين امرأة ممتعة » (ومر بيده بدون هدف على الحائط) « كانت رمزا لكل فتنة وجمال . ولكنها كانت امرأة – طفلة . لم تستطيع العناية بنفسها . واستغلها الناس بطرق لم تكن حسنة لها ولا كانت حسنة جدا لهم » .

– تدعي ان بامكان السايكودراما ان تكون فنية ايضا . كيف ؟

« اعتقد ان المسرح يسير على طريق السايكودراما . في لندن الآن مسرحيتان هما نوع من السايكودراما . انهما انتاج (مسرح القسوة) . فان السايكودراما ليست مبررا للعلاج . اننا نشدد على جمال الاختبارات وعلى خطوط الجمال في الاعمدة والانارة والموسيقى والشعر والسحر ».

– ولكن اذا كانت المسرحية نفسية حقا فان الممثلين يؤدون ادوار مشاكلهم هم الخاصة ، مهما كان جمال الاطار ؟

« يمكن ايضا ان يؤدوا ادوار مشاكل جماعية: مثل مشكلة الكاثوليك او اليهود ، او مشاكل عرقية كالزنوج . اننا نؤمن ان المسرحية النفسية تأتي بالحقيقة » .

– الا يوجد فيها عنصر تبشير او عنصر اعتراف عام ؟ او خطر الانهماك بالذات ، وهو امر سيء قد يتحول الى عادة مسرحة المرء لمشاكله ؟

« ليست السايكودراما مجرد انفجار شخصي بل هي تجري باشراف اشخاص ماهرين . انها تطور ضروري . اني ارى ان الطب النفسي ، كما يمارس عادة ، امر بدائي . انه يفتقد الى الجمال » .

بقيت اسئلة اخرى كثيرة بحاجة الى جواب . وليس اقلها اهمية الاسئلة التالية : الى اي حد يمكن لهذا الاسلوب ان يكون علميا ؟ هل ينحصر عمل المسرحية النفسية بشخصيات معينة ؟ هل ستزدهر في جو كاليفورنيا الملائم للبهورة والعرض الذاتي ، وتذوي امام التحفظ الانكليزي الاصيل ؟ اما الزعم بانه مسرح المستقبل فان المرء ليشعر ان في الامر مبالغة في تبسيط تعقيدات المسرح الخلاق وانظمته ، واهمالا لقيمة المواهب . وكثيرون يعتقدون ان جين روش ، عالم طبائع البشر الذي تحول الى سايكودراماتي ، يخرج افلاما رديئة ، ليست علمية من جهة ولا مقبولة من الناحية الجمالية من جهة اخرى .